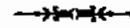




## رحلات

للدكتور عبد الوهاب عزام



هذه رحلات وأسفار ، صور شاهداها قلم مبین ، وناهيك بقلم يحمله الدكتور عبد الوهاب عزام  
وقراء الرسالة لا شك يعرفون الدكتور الفاضل باحثاً مدققاً  
وعالماً متمكناً ، وناقداً بارعاً ، ورجلاً تتمثل كل معاني الرجولة  
في أخلاقه وفي سلوكه ، ولكن قلّ فهم من يعرفه شاعراً موهوباً  
من الطراز الأول ، يستطيع أن يجرى في الحلبة فيسبق ،  
لأنه رجل لا يجب أو قل لا يحسن الإعلان عن نفسه ، فهو يجاهد  
ويجاهد حتى يرضى بالجهاد ربه ونفسه ، ثم لا يفتنه بعد ذلك  
مأرب ، فيرضى من الفتيمة بالإياب

وشاعرية الأستاذ عزام تنجلي في فسانده « المكتمة »  
أو قل المودودة ، وهو لا شك محاسب بين يدي الله « إذا المودودة  
سئلت ، بأى ذنب قتلت » ، وإن هذه الشاعرية لتتجلي أيضاً  
في آثار قلته في الوصف والإفصاح عن إحساسه بالريثيات ، فانت  
إذ تقرأ هذه الرحلات ، تستجد فيها دقة الباحث ، وحكمة  
العالم ، وظرف الأديب ، وخيال الشاعر وطاقته . وأى شعر  
أبلغ من قول الدكتور ، وهو يجيل النظر في أرجاء سيناء :  
« وأصبحتنا نطل على بيداء ليس فيها إلا رمال تتخللها أعشاب  
وأشواك ، ولكنها سيناء والله ماذا ضمنت سيناء من الخير والمبرأ  
فيها الطور الذي أنس موسى من جانبه نور الهدى ، وعليها مد  
الزمان وجزر بالنير سعيدة وشتية ، والجيش هازمة ومهزومة ،  
فتمثل جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وآية ، أو جيوش بابل  
وقارس مطرودة وطاردة ، ثم جيش الاسكندر وجيوش الرومان ،  
ثم جيوش للمرب والترك دول بمد دول ، وسطور تحو في صحائف

الزمان سطوراً ، كما خط في القراطيس سطر على سطر ، تراحت  
الذكريات ، وترادفت العظات »

بل أى شعر أفصح من قول الدكتور على قبر صلاح الدين  
الخالد : « ثم رقبنا درجات قليلة إلى باب آخر ؛ فيالك حجرة جمعت  
من العظمة سورة متلوة على الدهور ، وحبوب من عبر التاريخ  
ما تضيق به السلور اياك حجرة كنعوان الكتاب الكبير يتنحمة  
النظر في لحظة ، ثم لا يزال يفتح على الصفحة بمد الصفحة اياك  
من مكان وسع ملء الزمان ا وياك من أحجاز طويت على أعصار ا  
مجدرجف به الشرق والمرب ، وطأطأ له الصديق والمدود . هذا مرقد  
« صلاح الدين » ، أطفنا بالقبر ووقفنا هنيهة خاشعين ، ووقمت  
أبصارنا على صورة تمثل المجاهد العظيم ؛ ثم قال أحدنا : أين التاج  
الذي وضعه على القبر ملك الألمان غليوم ؟ قال دليلنا : أخذه  
الإنكليز ا قلت : إن مجد « صلاح الدين » أعظم من أن يزيد  
غليوم وأجل من أن ينقصه الإنجليز ، فليمطوا أو فليأخذوا ،  
وليدحوا أو يذموا ، فذلك صرح لا تفاله أيديهم ، ومجد قصرت  
عنه أمانهم ، وحلقة التاريخ تشهد من كان الفارس الأجد ١٩ »  
فهذا هو إفصاح الشاعر وخياله وإحساسه . . . وهذا هو  
الأسلوب الذي صور به الدكتور الفاضل كل المشاهد التي رآها  
والآثار التي وقف بها في حلب ودمشق وبنغازي وبلاد الفرس  
وموطن الأتراك ، ثم في الحجاز مشرق النور المحمدي ، وفي أوروبا  
حيث السفوح كلها البهاء والرواء والشمر ، فجاءت هذه الرحلات  
صورة قوية من عقل الرجل وقلبه ، فهي فوق ما فيها من علم  
وتعريف آيات بينات من الأدب الوصفي الرائع ، وقطع من الشعر  
المرسل تفيض بالمواطف والأحاسيس ، وتملاً نفس القاري  
بالعظات والمبر ، والحكمة والبهجة . وبهذا المعنى تستظل رحلات  
عزام خالدة خلود المواطف الإنسانية ، باقية بقاء الإحساس  
القوى في نفس الكبير